عرض الكتب ومراجعتها

«تـــــو ألـــــفـــــا لـــــيـــــمـــــا» السنوات العشر الأولى من تاريخ قوة ساحل عُمان وكشافة ساحل عُمان ١٩٥٠-١٩٦٠م

تأليف: بيتر كلايتون
عرض ومراجعة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية

ملخص:

يتناول هذا الكتاب بصورة مباشرة مسيرة قوة عسكرية صغيرة، عملت في نطاق المنطقة التي كانت تعرف بالإمارات المتصالحة على سواحل الخليج العربي.

ويقدم هذا الكتاب الذي تم إعداده في صيغة مفكرة، سرداً للسنوات العشر الأولى من تاريخ هذه القوة، حيث يبدأ بوصف تفصيلي لكيفية تشكيلها في عام ١٩٥٠م. وكانت مهمة هذه القوة حماية حدود وشعب الإمارات التي تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة الآن، ضد الاعتداءات الخارجية في ذلك الوقت. ويؤرخ الكتاب للأحداث العديدة التي تعاملت معها قوة ساحل عُمان وكشافة ساحل عُمان، طبقاً للتسلسل الزمني، شاملة الحصار الذي ضُرب على واحة البريمي بالإضافة إلى التمرُّدين الأول والثاني في عُمان.

وقد خدم المؤلف مع قوة ساحل عُمان وكشافة ساحل عُمان حتى عام ١٩٥٧م، لذا، نجد أن سرده التفصيلي لأنشطة هاتين القوتين يمتزج مع بعض التعليقات والملاحظات الشخصية، حول الخلفية السياسية التي جرت عليها هذه الأحداث، ووزارتي الخارجية والحربية البريطانيتين البعيدتين للغاية عن واقع الحياة في المنطقة آنذاك، ثم الأحداث الجارية

حينها في الشرق الأوسط، والعلاقات مع شيوخ المنطقة. وتضمن الكتاب حكايات حول تفاصيل الحياة اليومية التي عاشتها قوة تخدم في الصحراء تقدم إضاءات حول الجانب الآخر من الخدمة العسكرية، بدءاً من كيفية مكافحة الحشرات في أسرَّة النوم، وانتهاء بالأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة.

إن هذا السرد التاريخي المتميز لمسيرة هذه الوحدة العسكرية المتفردة – التي اشتهرت برمز النداء اللاسلكي الذي عرفت به وهو «تو ألفا ليما» – جاء نتيجة بحث مسهب في التفاصيل ومدعم بوثائق وخرائط شاملة ومستندات رسمية وعدد من الصور الفوتوغرافية التي صورها الكاتب نفسه. ونأمل أن يُحيي هذا الكتاب الكثير من الذكريات ويوفر سجلاً شاملاً ورائعاً للمهتمين بالتاريخ العسكري وبشؤون منطقة الخليج العربي والعالم العربي.

يستعرض هذا الكتاب سجل السنوات العشر الأولى لقوة ساحل عُمان في صورة تقرير استخباري تتكشف فيه الأحداث بالتدرج، ويتضمن قصصاً وتعليقات شخصية للمؤلف، وقد روعي فيه الالتزام التام بالترتيب التاريخي للأحداث.

كان لبريطانيا العظمى علاقات تعاهد مع حكام المناطق القبلية الواقعة على سواحل الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، ومع سلطان مسقط وعُمان منذ عام ١٧٩٨م، ومع حكام الأجزاء الساحلية من الخليج العربي بما في ذلك البحرين منذ عام ١٨٢٠م. ونشأت هذه المعاهدات بسبب الحاجة إلى تأمين الطرق البحرية المؤدية إلى الهند. وفي مقابل امتناع القبائل الساحلية عن شن غارات على السفن البريطانية وسفن شركة الهند الشرقية تم الاتفاق على إدخال هذه القبائل تحت مظلة الحماية البريطانية في حالة الاعتداء عليها من أطراف خارجية أخرى. كانت معاهدة السلام العامة التي أبرمت عام ١٨٢٠م تضمن في مجملها بقاء المنطقة تحت النفوذ البريطاني وإقصاء النفوذ البرتغالي والفرنسي عنها. ولم يكن للبريطانيين سلطة على هذه الأراضي غير إنشاء حامية مؤقتة في رأس الخيمة عام ١٨٢٠م، وقيام حكومة بومباي بتعيين ممثل بريطاني يقيم في الشارقة لتمثيل المصالح البريطانية منذ عام ١٨٢٥م

تقريباً. وفي عام ١٨٥٣م وقع كل الحكام على اتفاقية الهدنة الدائمة التي أسفرت عن اسم الساحل المتصالح ليحل محل الإشارات السابقة لهذا الساحل باسم «ساحل القراصنة».

أدى إنشاء طريق جوي بين بريطانيا والهند وما وراءها في ثلاثينيات القرن العشرين إلى قيام القوات الجوية الملكية والخطوط الجوية الإمبراطورية ببناء مهبط للطائرات في الشارقة، وبناء حصن هناك ليكون استراحة محمية ومحطة إعادة تزويد بالوقود. وفي عام ١٩٣٧م حددت الحكومة البريطانية – بحسب ما يرضيها على الأرجح – حدود الإمارات المتصالحة مع المملكة العربية السعودية.

لما كانت الطائرات المائية تستخدم هذا الطريق الجوي في أثناء الحرب العالمية الثانية فقد تم توسيع هذه المنشآت بتطوير الجزء الأعلى من خور دبي ليكون صالحاً لعمليات الهبوط والإقلاع وبناء رصيف ميناء على ساحله الشمالي. ولحماية القواعد في الشارقة ومسقط، تم تجنيد رجال محليين وتدريبهم وتسليحهم، ومنحوا زياً رسمياً موحداً، وأطلق عليهم اسم «قوة مسقط»، وقد تم تسريح هذه القوة مع نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان أفراد القوات البريطانية المتمركزون على الساحل المتصالح محصورين داخل قاعدتهم، ولم يكن لهم اتصال بالسكان المحليين باستثناء الذين كانوا يعملون في القاعدة نفسها.

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت عمليات جادة لاستكشاف النفط في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية. وفي السنوات الخمس التالية، تم مسح هذه الأراضي عن طريق جيولوجيين يستخدمون السيارات في التنقل. وكانت المفاوضات بين شركات النفط وزعماء القبائل حول منح حقوق البحث والتنقيب عن النفط قد أدت إلى بروز مطالبات بتبعية أراض وادعاءات مضادة بتبعيتها بين الحكام أنفسهم، وكانت دول الجوار، قطر وسلطنة مسقط وعُمان والمملكة العربية السعودية، طرفاً في هذه الادعاءات. بلغت هذه النزاعات ذروتها عام ١٩٤٩م، وظهرت الحاجة إلى مزيد من التدخل البريطاني على

الساحة للوفاء بالتزامات بريطانيا نصوص المعاهدة المبرمة فيما يتعلق بواجباتها إزاء حكام الإمارات المتصالحة. وفي ذلك الحين، كانت هناك حاجة إلى قيام مسؤولي وزارة الخارجية البريطانية بزيارة زعماء القبائل البعيدة في الداخل، ومد يد المساعدة لهم في حفظ القانون والنظام إذا اقتضى الأمر. ومن أجل توفير الحماية للمسؤولين البريطانيين في أثناء قيامهم بمهمتهم، فقد تقرر في ذلك الوقت أن وجود قوة صغيرة من الجنود العرب سيفي بالغرض وسيخفف من غلواء الاتهامات الموجهة إلى بريطانيا بأنها قوة استعمارية، وهي الاتهامات التي كانت صيحة رائجة في أرجاء العالم العربي وفي أماكن أخرى. كان المصدر الأنسب لتوفير الأفراد اللازمين لتشكيل هذه القوة هو الجيش العربي في الأردن، البريطاني التدريب، والذي كانت إنجازاته الأخيرة في حرب فلسطين ترجح كفته. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك صلات قبلية قديمة مع الأردن لم تكن قائمة مع الأكراد والآشوريين العاملين ضمن القوة العراقية التابعة للقوات الجوية الملكية أو مع العدنيين العاملين ضمن قوة محمية عدن التابعة للقوات الجوية الملكية.

في بداية عام ١٩٥١م، وصل عدد صغير من الأفراد الأردنيين من منتسبي الجيش العربي المعارين، الذين تم إرسالهم ليكونوا نواة لهذه القوة من «الشرطة المسلحة»، تحت توجيه وزارة الخارجية البريطانية. وقد ساهمت هذه القوات في حفظ الأمن وفي استقرار الأوضاع بصورة عامة.

يقدم هذا البحث الإطار التاريخي الأساسي وبعض التقارير الكاملة عن أنشطة هذه الوحدة العسكرية. أما استكمال تفاصيل الأحداث، فقد تم عن طريق إجراء مقابلات مع الذين عاشوها وشاركوا في صنعها من العرب والبريطانيين وبالرجوع إلى الأعمال المنشورة.

لقد خدم الكاتب مع هذه الوحدة لمدة تزيد على عامين اعتباراً من كانون الثاني/ يناير ١٩٥٤م كقائد سرية، وفي مهمات خاصة، وكقائد قوة دورية في مختلف المراكز الخارجية. وبعد ذلك تم تعيينه أول ضابط استخبارات ومسؤول

سياسي لكشافة ساحل عُمان خلال الفترة من آذار/ مارس ١٩٥٦م إلى آذار/ مارس ١٩٥٧م، قام خلالها أيضاً بتأسيس قوة شرطة دبي وقيادتها.

يستعرض الكتاب الفترة الممتدة من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٦٠م، يبدؤها بتعريف لدولة الإمارات العربية قبل قيام الاتحاد من حيث الطبوغرافيا والسكان واللهجات. وقد قام المؤلف بتعريف مفصل للمناطق التي تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة من الناحيتين الجغرافية والطبوغرافية، وتعرض بالتعريف للمناطق والظروف المناخية السائدة. وكذلك للتطورات التي شهدتها المنطقة فيما يتعلق بتطور طرق المواصلات في النصف الأول من القرن العشرين في المنطقة وتأثير الأحوال الجوية على هذا التطور، وخاصة فيما يتعلق بالسبخات وأحوال الجو السائدة من جفاف أو أمطار.

ويتعرض الكتاب بالتعريف للمنطقة التي تشمل الآن الإمارات السبع لدولة الإمارات العربية المتحدة، بالإضافة إلى الأقاليم التابعة لسلطنة عُمان في المنطقة الجبلية التي تمتد جنوباً حتى البريمي. كان يطلق على هذه المنطقة كلها اسم «عُمان المتصالحة». وكان اسم «الساحل المتصالح» هو الاسم الذي يطلق على ساحل الخليج العربي، في حين يطلق اسم «ساحل الباطنة» على ذلك الجزء من «عُمان المتصالحة» المواجه لخليج عُمان.

تنقسم الأرض إلى نوعين أساسيين، هما المنطقة الصحراوية في الغرب والجبال الشرقية بسهولها الحصوية الرملية المترسبة من سفوح الجبال. وتتشابه الصحراء الغربية بصورة تقريبية مع إمارة أبوظبي، وتتكون من سبخات في الساحل الشمالي، تتخللها هضاب صخرية منخفضة ومتناثرة. وتوجد على مقربة من الساحل داخل البحر مجموعة من الجزر المنخفضة المنتشرة بين الشعاب المرجانية والكثبان الرملية. أما على اليابسة، فترتفع الأرض في سلسلة من التلال والجبال المنخفضة المكونة من الصخر اللين نفسه والحصى ومداخل السبخات. وإلى مسافة أعمق في الداخل تزداد كثافة الرمال في منطقة الظفرة إلى أن يزيد ارتفاع الكثبان الصفراء والبرتقالية في ليوا

على ١٥٠ متراً. وتتألف واحة ليوا من سلسلة طويلة من الأودية الممتدة من الشرق إلى الغرب. وتوجد فيها آبار مياه عذبة تغذي بساتين النخيل القليلة التي تهددها الكثبان الرملية باستمرار. وتهب الرياح السائدة من الشمال، وتحرك الكثبان الرملية ببطء نحو الجنوب على المنطقة كلها.

وإلى الجنوب من جبل الظنة تمتد منطقة بينونة، وهي منطقة من التلال الصخرية المنخفضة، والأودية الرملية الضحلة. وتتناثر في هذه المنطقة آبار قليلة، ذات مياه مالحة بعض الشيء، كما في عقيلة وأم الأشطان، والشجيرات القصيرة التي تقتات منها الإبل. وتقع في جنوب بينونة منطقة المُغرِب، ذات الكثبان المتدرجة من الانخفاض إلى الارتفاع المتوسط، والتي يغلب عليها اللون الفاتح، وتمتد من الشرق إلى الغرب، ولا توجد فيها آبار دائمة.

وعلى الطرف الغربي من الساحل المتصالح، تمتد سبخة مطي باتجاه الجنوب من البحر إلى مسافة تزيد على ١٠٠ كيلومتر. تتخلل هذه السبخة ساحات رملية منخفضة، وتخلو السبخة من أي آبار مياه. وإلى مسافة أكبر نحو الداخل باتجاه الغرب أيضاً، ترتفع هضبة المجن عن مسطحات سبخة مطي بعلو طفيف ولكن بانحدار كبير. وباستثناء مجموعة أشجار إلى الشمال من السلع، تخلو هذه المنطقة الحصوية من أي غطاء نباتي باستثناء بعض الشجيرات الصحراوية الموسمية المتناثرة في قيعان الأودية الرملية. أما شريط الأراضي الممتد إلى الحدود مع دولة قطر فهو مزيج من السبخات وأحزمة من الكثبان «العقال» الرملية التي تمتد حتى تنتهي عند الهضاب الصخرية المنخفضة وتلال الحجر الجيري في شبه جزيرة العُديد.

تسود جبال الحجر (الغربية) بتكويناتها الجيولوجية المتنوعة في المنطقة الشرقية. والاتجاه العام للجبال هو من الشمال إلى الجنوب، مع وجود ممرات جبلية توفر مسارات قليلة تمتد من الشرق إلى الغرب.

وفي هذه الفترة، كان هناك طريقان للسيارات يقطعان جبال الحجر الغربية ويفضيان إلى ساحل الباطنة، هما وادي القور الذي يمر من الحويلات إلى أسوَد على الحدود مع السلطنة، ووادي الجزي من واحة البريمي عبر صحار.

كان اجتياز المنطقة بين وادي السيجي شرق مسافي ووادي حام فوق البثنة ممكناً بواسطة الجمال، كما كان يشكل طريقاً من تلك المنطقة يصل إلى دبا. وكان طريق السيارات في وادي حتا يصل إلى مصفوت، ولكن لا يؤدي إلى الباطنة.

يغطي سهول الجرف غربي الجبال طين صلصالي وحصى. وتوجد آبار مياه عذبة متباعدة في هذا السهل الذي يمتد من رأس الخيمة في الشمال إلى رملة عنيج. وقد أعطت أشجار الغاف المنطقة مظهراً شبيهاً بغابات السافانا غير الكثيفة. وكانت هذه الأشجار توفر حطب الوقود لسكان منطقة واسعة، وكان السهل نفسه مرعى لماعز البدو وإبلهم، وتوجد في هذه المنطقة أيضاً قطعان من الغزلان.

يزداد القطاع الرملي باتجاه الغرب مع الابتعاد التدريجي عن الجبال، غير أن ممرات السهول «السيوح» المغطاة بالحصى (السيح) ووادي الفاية الذي يتلاشى بدخوله غرباً في الرمال، تشكل طرقاً ممتدة من الساحل إلى الجبال. تلتقي الرمال مع الجبال جنوب جبل السميني وتكوِّن حاجز رملة عنيج.

وإلى الجنوب من هذا الحاجز، يضم وادي شرم وسفوح التلال الواقعة شمال جبل القطار سهلاً مغطى بالحصى وسلسلة من الجبال الصخرية المنخفضة قبل أن ينفتح السهل مرة أخرى شرق واحة البريمي. ويوجد غرب سهل الظاهرة السفحي جبل حفيت المعزول بشكله المحدب كظهر الحوت، ويبلغ ارتفاعه ١٢٠٠ متر. وإلى مسافة أبعد في الجنوب تترامى جبال الحجر الغربية بامتداد الجنوب الشرقي وأراضي عُمان الداخلية في حين يستمر حد الرمال في اتجاه الجنوب. وتتخلل هذه الرمال من الغرب والشمال سهول حصوية مسطحة وطويلة، تمتد من الغرب إلى الشمال ثم إلى الغرب وتصل إلى الحدود.

وفي أوائل الخمسينيات، كان هناك طريق صالح للسيارات على طول الساحل يربط رأس الخيمة بالشارقة ودبي وجبل علي والمفرق وأبوظبي وطريف والرويس وبركة وسبخة مطي، ويستمر حتى المجن في السلع، ويمتد إلى المملكة العربية السعودية، وكان هذا الطريق يتخلل السبخة في بعض الأماكن التي يمكن للسيارات أن تسير عليها. وفي المناطق التي كانت شركات النفط

تستخدم هذا الطريق فيها، تمت تسويته بالمدحلة بحيث يكون متدرجاً في المنعطفات الحادة جداً. أما في المناطق الأخرى فكان الطريق يترك كما هو ليمتد ويتعرج بحيث يصبح وعراً أو ناعماً أكثر من اللازم.

كانت طرق السيارات الداخلية المؤدية من الشارقة ودبي إلى واحات الذيد والبريمي تعبر الرمال بين سلسلة الكثبان إما بصورة مباشرة شرقاً إلى الذيد أو إلى مسافة أطول نوعاً ما باتجاه الجنوب، مروراً بالبئر (طوي) في عود المطينة إلى جبل الفاية. وهنا يتفرع الطريق ليمر عبر وادي القور شرقاً إلى الباطنة ومسقط أو جنوباً على طول السهل الحصوي وعلى رملة عنيج إلى البريمي والأجزاء الداخلية من عُمان. وكان طريق السيارات بين أبوظبي وواحة البريمي يتبع سلسلة الأراضي الواقعة بين الكثبان الرملية إلى أن يعبر العائق الرملي عند منطقة هزع البوش.

كانت العديد من طرق السيارات بحاجة إلى التنظيف من الصخور الضخمة عقب سقوط الأمطار أو هبوب العواصف الرملية على الأودية الواقعة عند سفوح الجبال، أو تكون بحاجة إلى إعادة اكتشاف من وسط الرمال المتراكمة عليها. وكانت طرق السيارات في الرمال تتبع في أغلب الأحيان طرق قوافل الجمال. وكانت قوافل الجمال التي تتألف من ١٠٠ جمل، والقادمة من عُمان إلى البريمي ومنها إلى الشارقة ودبي، والتي يتم تحميلها بالفحم النباتي (الصخام) والتمر وتعود محملة بما يتم شراؤه من «بضائع المحالّ» أمراً شائعاً، وكانت تملأ الطريق بقدر كاف من الروث الذي يتيح تعرف مساره.

وفي معظم الفترة ١٩٥٠-١٩٦٠م، ونتيجة لاستحالة التنبؤ بحالة السبخات وتأثيرها في الطريق المؤدي إلى جزيرة أبوظبي، كان نقل البضائع والركاب يتم عن طريق البحر من دبي أو الشارقة إلى أبوظبي، وليس براً. وكان الطريق البحري بين الشارقة أو رأس الخيمة إلى خورفكان وما بعدها من مناطق على ساحل الباطنة هو الطريق المستخدم في أغلب الأحيان، حيث يكون مفضلاً على طريق وادي القور، الذي كانت فيه مخاطر ظهور قطاع الطرق ويقتضي

المرور عبر مركز جمارك السلطنة في منطقة أسوَد. وحتى نهاية عام ١٩٦٠م، لم تكن هناك طرق معبدة في أي مكان من المنطقة.

السكان:

أما العنصر البشري فقد كان أغلب المجندين في قوة ساحل عُمان وكشافة ساحل عُمان من القبائل البدوية التي تعيش في الصحراء وتعتمد في حياتها على الإبل، ومن القبائل التي تقطن الواحات، وتعتمد في معيشتها على التمور ورعي الماعز وتعيش في المناطق السهلية وشبه الجبلية، ومن القبائل التي تقطن المناطق الجبلية في جبال الحجر الغربية. وكان أفراد هذه القبائل يتناسون الخصومات والتحالفات التاريخية بين عشائرهم وقبائلهم بمجرد تجنيدهم.

أما التوزيع العام للقبائل الرئيسية وفروعها وأنماط تحركاتها في تلك الفترة فقد كان على الشكل التالي:

- في الغرب، كان بدو المناصير يتنقلون ما بين سبخة مطي والمغرب والمجن وبينونة، وكان قسم آخر من المناصير موجوداً في الأراضي الداخلية جنوب جبل علي.
- كانت مجموعة قبائل بني ياس تقطن ليوا، وكانت ترتحل إلى الظفرة، وتنضم إلى أسطول مراكب صيد اللؤلؤ، كما كانت تعبر شرقاً إلى واحة البريمي. وهناك المناهيل، وهم موجودون على طول الحدود الجنوبية لليوا والبطين وبامتداد المنطقة شرقاً نحو أم الزمول.
- ينتشر العوامر في الجزء الشرقي من ليوا مروراً بالسهول وحتى الجانب الشرقي من الحدود مع سلطنة عُمان. ويرتبط العوامر بقبائل تحمل الاسم نفسه في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها.
- هناك آل بونعيم الذين يعيش بعضهم في المناطق الحضرية والبعض الآخر في البادية، في المنطقة شبه الجبلية الواقعة بين عجمان، التي ينحدر حكامها من فرع آل بوخريبان، ومنطقة حفيت حيث يسكن الخواطر. وينحدر معظم سكان قرى البريمي وصعراء من قبيلة آل

بونعيم. وقد انفصل آل بوشامس عن آل بونعيم، ويعيش البدو منهم في منطقة القابل والسنينة، ومن أهم الأماكن التي استقروا بها قرية حماسة في واحة البريمي.

- يعيش أفراد قبيلة بني كتب في المناطق الممتدة من سهول الظاهرة من أراضي عُمان الداخلية إلى جنوب جبل حفيت. ويوجد هؤلاء أيضاً في السهل الشمالي بين الذيد وطوي فلي. ويعيش بنو كعب حول محضة في سفوح جبال الحجر الغربية في سلطنة عُمان. وهناك الظواهر، وهم قبائل ريفية في الغالب، ويعيشون في القرى التابعة لأبوظبي وما حولها من واحة البريمي.
- يعيش في المدن الساحلية أفراد من أصول مختلطة، من مختلف أنحاء الساحل الجنوبي للخليج العربي ومن ساحلي خليج عُمان، وكان هؤلاء يعرفون في أوساط البدو باسم «البلوش» وذلك تمييزاً لهم عن بلوش بلوشستان أو مكران.

يتفاوت التقدير الإجمالي لعدد السكان في أواخر الخمسينيات بين ٥٠ ألف نسمة و٨٠ ألف نسمة، يعيش أقل من ٢٥ ألفاً منهم في دبي وديرة، وقد يكون ١٠ آلاف من مجموع السكان من البدو الرحل. أما الباقون فكانوا يعيشون في الواحات والمدن/ البلدات الساحلية والقرى الجبلية، ويعملون في الرعي أو صيد الأسماك، وبهذا العدد القليل، كان البدو الرحل يعرفون كل شخص إذا ما تقابلوا معه أو تحدثوا إليه. أما المستقرون فكانوا يعرفون جيرانهم ويتحدثون عن كل شخص يعرفونه.

كان عدد السكان الأجانب، الذين يطلق عليهم الآن اسم «الوافدين» قليلاً؛ فقد كانت هناك جالية من التجار الهنود، وكان أفراد هذه الجالية يتنقلون للعمل مع أفرع الشركات التجارية، وقد يقضون سنوات قليلة في التنقل ما بين دبي والكويت والبحرين، ثم يعود معظمهم إلى بومباي في أغلب الأحوال. وكان عدد أفراد القوة الجوية الملكية البريطانية في قاعدة الشارقة يتغير من وقت إلى آخر

ولكنهم كانوا معزولين تماماً، ولا يغادرون حدود المعسكر. كما كان الأوروبيون العاملون في شركات النفط مستقلين أيضاً في معسكراتهم الصحراوية، سواء في مواقع تجهيزات الحفر أو في أماكن إقامة مجموعات التنقيب عن النفط في الحقول.

كان الأوربيون المقيمون في أبوظبي في بداية عام ١٩٥٧م ثلاثة أشخاص، أبرزهم الوكيل السياسي، وأحد منتسبي شركة أبوظبي العاملة في المناطق النفطية البحرية، أدما العاملة.

وفي الشارقة كان لهيئة مسح الجراد الصحراوي منزل في الطرف الشرقي من المدينة، حيث كان مندوبهم يقيم فيه أحياناً. كما كانت هناك زيارات موسمية يقوم بها طبيبان أمريكيان منتسبان لإرساليات تبشيرية. وكان سيدني هودج مدير شركة إيريديو الدولية المحدودة، وأحياناً فرد أو اثنان من موظفيه يقيمان في حصن شركة الخطوط الجوية الخارجية البريطانية BOAC، ومنذ عام ١٩٥٣م، كان العقيد مارتن قائد قوات ساحل عُمان يعيش مع زوجته وابنيه في منزل على الطرف الغربي من السوق.

أصبحت دبي اعتباراً من عام ١٩٥٣م مقراً للممثلية السياسية البريطانية، وكان فيها الوكيل السياسي وواحد أو اثنان من المسؤولين السياسيين. أما بقية الجالية فكانت تتألف من مدير البنك البريطاني للشرق الأوسط وأسرته وموظفي البنك وموظف شركة جراي ماكنزي، وطبيب في مستشفى مكتوم في ديرة، وممثلي شركة تطوير نفط الساحل المتصالح.

اللهجات:

إن أبرز سمة تتميز بها اللغة العربية المنطوقة في الإمارات المتصالحة هي أن أصواتها على الطرف المقابل للطيف الصوتي من أصوات الضاد والجيم والقاف المنطوقة في الجزء الغربي من هذه المنطقة، ولكنها تحتفظ بكامل تقديرها لكل حرف وصوته، ولا تحذف منها القاف لتصبح همزة كما في منطقة شرق البحر المتوسط، وهكذا تنطق قهوة بحرق القاف «قهوة» **(Qahwa)** وليس

بحرف الألف التي عليها همزة ساكنة (أهوة) (Ahwa)، كما تنطق العين من مخرجها الأصلي بصورة صحيحة.

غير أن بعض الأحرف الساكنة الثقيلة تتحول إلى أحرف ساكنة ملطفة بشكل ملحوظ، مثل القاف في كلمة «الشارقة»، والتي تصبح «الشارجة»، حيث تتحول القاف إلى جيم. ويحدث ذلك أيضاً عندما ترد القاف في نهاية إحدى الكلمات مثل طريق، فتُنطق طريج، ورفيق التي تتحول إلى رفيج، ولفترة طويلة عُرف القواسم في العالم باسم «الجواسم» أو «الجاسميين» (جمع «جاسمي" بالجيم بدلاً من القاف).

أما حرف الجيم فكثيراً ما يتحول إلى ياء، وتكتب كلمة «ليوا» (Liwa) على الخرائط السعودية وتُقرأ «الجوا» (Al Juwa)، وتنطق «المجن» (AkMijann) وكأنها (الميَن) (AlMiyyan) ويطلق على المنتمين لقبيلة «نجادات» (Najadat) اسم «الناديين» (Neyyadis) ومفردها نياديّ، وبالطبع فإن كلمة «فلج» (Falaj) تنطق (فلَي) (Falayy). أما حرف الكاف (ك) فيتحول إلى (Ch) (شا)، فتصبح عبارة (كيف حالك؟) (شيف حالك؟) عندما يتبادل أفراد قبائل بني ياس التحية فيما بينهم.

كانت المفردات المستخدمة في أنحاء الإمارات المتصالحة قبل ظهور المذياع في منتصف الخمسينيات تحتوي على كلمات شائعة لم تكن مدرجة في معاجم اللغة العربية المألوفة الصادرة في بيروت، أو تصنف على أنها مفردات مهجورة إن وجدت. ولعل اللهجة الخاصة بالبدو الذين كانوا يعتمدون على الإبل غير مدونة حتى الآن.

وقد نشأت داخل قوات ساحل عُمان (TOL) وكشافة ساحل عُمان (TOS) لهجة تتكون من كلمات عدنية وتعبيرات مستعارة من الأردن وأخرى مستوحاة من الحماسيات العسكرية السودانية، وبعض الكلمات المألوفة التي تستخدم في الجيش البريطاني. وفي وقت ما، كانت كل سرية تطور لغة عامية خاصة بها بعد

قضاء شهر أو نحو ذلك في المواقع الخارجية، وتعكس هذه اللغة أسلوب ومنشأ اللغة العربية التي يتحدث بها قائد السرية المعنية.

ويتعرض الكتاب بالتفصيل لأحداث كل سنة من السنوات خلال الفترة ١٩٥٠–١٩٦٠، ويذكر التفصيلات الداخلية وأبرز التطورات العالمية خلال تلك الفترة، سواء ما كان لها علاقة مباشرة بالداخل أو انعكاس ثانوي، والكتاب يتضمن الكثير من الأحداث والتفصيلات التي تبرز الحياة اليومية في الإمارات وخاصة بين المجندين، والمفارقات التي كانت تنشأ بينهم نتيجة للعديد من الأسباب.

إن الكتاب يتعرض بصورة غير مباشرة للتغيرات التي نشأت في الإمارات خلال تلك الفترة، ويتضمن مجموعة من الصور النادرة المعبرة عن حياة القوة العسكرية الناشئة، وكذلك هناك عدد كبير من الملاحق التفصيلية والخرائط التوضيحية للمنطقة وخاصة منطقة العين.

ويعبر الكتاب في المقام الأول عن رؤية ضابط بريطاني عاش في المنطقة ويصورها من خلال رؤيته وفهمه، وقد يكون مصيباً أو مخطئاً، ولكن الكتاب يستحق القراءة لمعرفة واقع المنطقة وتاريخها خلال العقد السادس من القرن العشرين، وهي فترة حاسمة ومهمة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.